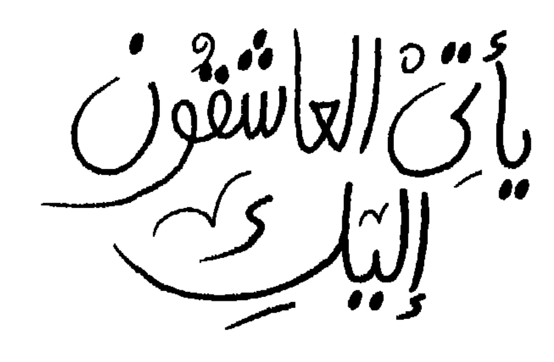


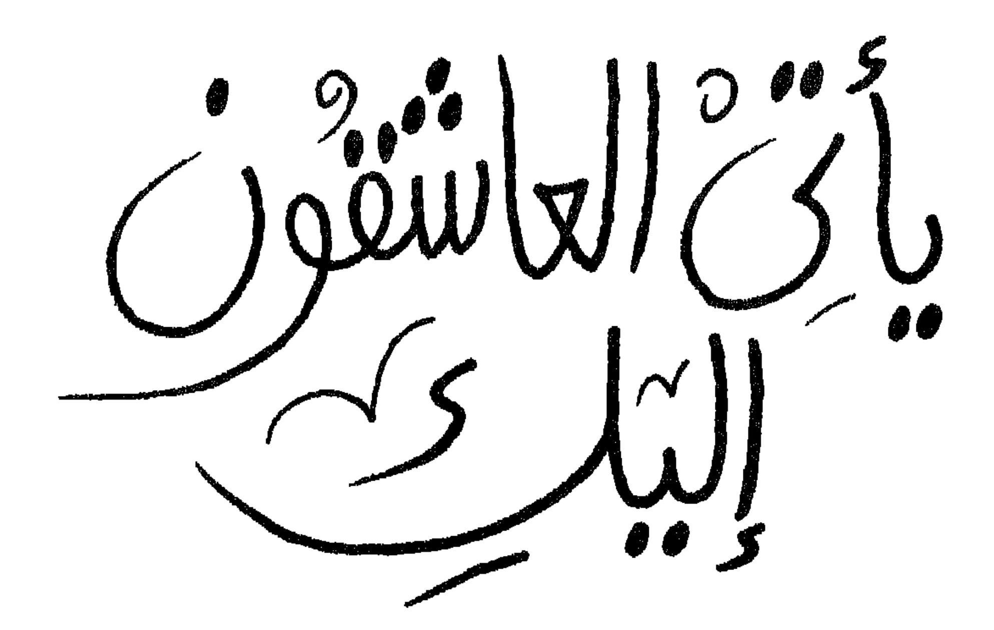
دار الشروق


يأتي العاشقون إليك

الطبعة الأولى
١٩٩٢ م - ١٤١٣ هـ

القاهرة ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
برقيا شروق - تلكس 93091 SHROK UN
بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
برقيا داشروق - تلكس SHOROK 20175 LE

محمد الفيتوري



دار الشروق

الإهـــداء

إلى الزهرة الإفريقية . . جدتي المسكينة . .

القائمة في ذاتي . . رغم شواهد النسيان !

محمد الفيتوري

شهـــادات

تلك الظاهرة السوريالية ، أصبحت طقساً من طقوس حياتي .

أن أتوغـل في الآخريـن ، ثم لا ألبث أن أتسلـل هاربـاً بجسدي ، أو يتسللوا هم مني ، إلى بعيد .

أن أسكـن أرضـاً ، ثـم لا تلبـث تلـك الأرض ، أن تنـزلـق مـن بين أصابعي ، فإذا بي ، داخل عاصفة زمنية ، لاسقف يظللها ولا جدران .

إنْ أُولَد في وطن ، ثـم تتمدد أَغْصاني في وطن ، ثم تجتاحنـي الغربة في وطن ثالث ، حيث لا يتشكـل انتمائي إليه ، إلا بقدر ما يتشكل انتماؤه إلى ذاتي ، أنـا هذا الـراحِـل أبدا ، مـن أفق إلى أفـق ، المقيـم في التناقضـات والتفاصيـل المجهولة . . تركيبـة العلاقات الاستثنـائية والغامضة ، بـركان العـواطف والميـول المضطـربة ، حـائط التوازنـات الـدقيقة ، المدهشـة ، المنسوجة من لحظات اختلال التناغم ، وانعدام التساوي والانسجام .

تـرى هـل كـان لكـل هـذه الأشياء مجتمعـة ، تـأثيرهـا الطـاغـي على

شخصيتي ، وطموحي ، وشعري ، وارتباطاتي ؟

هل أملك إلا أن أضع إصبعي على فمي ؟

بيد أنني اجرؤ على أن أسأل نفسي ، عما كنت سأتصور نفسي ، فيما لو لم أكن ذلك الذي يجد نفسه دائماً ، غائصاً فيما يحب وما يكره ، دون أن تكون له إرادة ، فيما يحب وما يكره ، إلا أنه هذا الشاعر ، وهذا الإنسان !

ـ 2 ـ

عندما كنت طفلاً ، في مدينة الإسكندرية ، لم تكن المياه تتدفق مثلما هي عليه الآن .

حينذاك كنت لا أرى من الإنسان ، إلاَّ لوْنَ الإنسان . . قشرته الخارجية هي وحدها ، إشارة وضعه الطبقي ، وهي الحاجز الفاصل بين قيمته ومحتواه ، وبين قيم ومحتويات الآخرين .

حينذاك كانت الأيام ، تختلط في عينيَّ . . وكانت الرؤى تتداخل . . كانت مجرد نظرة متشَنّجَة . ابتسامة ساخرة ، التفاتة دون قصد ، تحدث في داخلي انفجاراً كونياً مدمِّراً ، تتداعى خلاله الانفعالات ، والتأويلات الكابوسية ، المثيرة للقشعريرة ، والمغرقة في الأوهام والاضطرابات .

ربما كان مرد ذلك كله ، إلى افتقاري للوعي الصحيح ، بنظام العلاقات الإنسانية ، في مجتمع ما ، في ظرف تاريخي ما ، تجاه كائن ما .

قصائدي الأولى جميعها ، تقاطرت فوقي ، وأنا تحت هذه الأشجار . وهكذا ظللت مشبَّعاً بقناعاتي ومسلماتي تلك . ألجأ إليها ، عامداً أو لاهياً ، في تفسير رحلاتي النفسية ، وتقلباتي ما بين الموقف ، واللحظة والحال .

ثم حان لي ، أن اكتشف ذات يوم ، أن ذلك الولد الشاعر الصغير ، قد غاب عنه ، وهو يكتب « أغاني افريقيا » أن اللون الذي سرق منه أحلى أيام صباه ، كان مجرد شرارة ـ خبَّأتْ وراءها الحريق الذي بداخله . حريق سنوات الغضب الذي أحرق الغابة كلها فيما بعد . . الشرارة ، الحريق ، الاحساس اللوني الذي يتطلع بائساً نحو قيمة إنسانية واجتماعية أكبر .

وتلك هي الدفاع عن كرامة الإنسان في الأرض ، والايمان بحقه في الحرية ، والعدل ، والحياة .

والآن . .

ياشد ما تراكمت التجارب ، حتى تلاشت بساطة ذلك الشاعر الساذج والغريب . . انتهت تلك الحالة العارضة ، فلقد اكتهل اليافع ، وأمكنه فهم وتفسير اشكاليات الواقع الاجتماعي من حوله . اختلفت درجة الوعي ، واتضحت معالم الرؤية ، وغاصت جذور المعرفة ، وانفضحت حقائق الأشياء . .

الآن . .

كلما عدت إلى قراءة قصائدي الأولى ، اكتشفت مـن جديد ، كم كنت ساذجاً وبسيطـاً ، في تصوراتي الطفولية تلك التى وقفـت بي طويلاً ، تجاه حـاجـز اللون ، فلـم أعـرف إلا الآن ، أن ثمـة حواجـز أخـرى تحول بين الإنسان وتاريخه الشخصي ، وما بين الإنسان وكرامته الاجتماعية ، وما بين الإنســان والإنســان ، وتلـــك هــي حــواجـز الغنـــى والفقـر ، الامتـلاك والاستلاب ، المعرفة والجهل ، الحرية والقهر ، العبودية والانعتاق !

ـــ 3 ـــ

في المحاولات التجريبيـة ، لكل ذي موهبة ، يظل حلم التجـاوز هدفاً بعيد التحقيق . وتظـل العملية الابداعية ذاتها ، هـاجساً خرافياً ، عـذاباً ذاتياً ، أبدياً ، ومستحيلاً في آن .

انه ـ الفنـان الشاعر ـ بـانحيازه إلى صورته الفتيـه ، إنما يحاول النفاذ إلى حقيقة هــي بالتـأكيد ، مستحيلة في واقعـة ، وان تكن تظـل تتراءى له ، ويظل ينشدهـا في صيرورته ، عبر لغته النفسية : الإيقـاع . . ولغته المادية : الكلمة . تلك الخليـة العضوية التي ينبغي ان تأخـذ وضعها الحياتي ، ضمـن التركيبة الأشـد تعقيـداً ، للشكـل الشعري ، والبنـاء الملحمـي ، والعمل الدرامي . .

لقد خططت كثيرا ، ومحوت كثيراً ، ولكنني لا أملك حق الادعاء ، بأن

تلك الكلمة ، كائنة ضمن حيِّزها . في كل ما كتبت .

ومثل أي فنـان ، لا أتردد عن الاعتراف أمـام نفسي ، بأن بي أكثـر من رغبة ، وأننـي أمتلك إرادة ، وأن لي عينين قد تعبتـا كثيراً ، دون جدوى ، وهما تتعقبـان هــذا الهاجس الجنـوني ، هـاجــس التجـاوز ، التغيير ، الانطلاق مـن الواقع إلى الحلـم ، الانفلات من المحـدود إلى اللا محدود ، التحول الخلاق والمستمر ، من جمود العادي ، والنمطي ، والشخصي . . من صورة العاشق ، إلى هوس المجنون ، إلى شطحة الصوفي ، إلى السقطة في طحلبة الموت ، والخلود في شجرة الحياة .

لكـم أحلـم بـأن أستطيـع تجريد شعـري ذات يـوم ، مـن كـل تلـك التنميقـات الزخـرفية ، والأصبـاغ الطقسيـة ، الخاوية مـن إيقاع اللحـم والدم . . إن كل تلك الهموم الشكلانيـة التي يثقل الآخرون بها ، أشعارهم لا تعنيني . .

إنني أحاول دائماً أن اغسل عيني ويديَّ وأشعاري ، من مختلف زخارف وممارسات الورثة الجدد من أحفاد عصور المماليك . . .

إن الشكل الفني ، وحتى الايقاع الموسيقي نفسه ، لا يهمني إلا بقدر ما يضيف من إشعاعه وعبقريته ، إلى مضمون تجربتي الابداعية والإنسانية .

— 4 —

ثم لماذا التصلب والمكابرة ؟

إن التخلف واقع تاريخي ، وهو موقع طبيعي لشعرنا العربي المعاصر . إنه موقع المجتمع ، وهو موقع الإنسان .

موقعنا الراهن ، إننا فوق حافة هذا المنحدر المائل إلى نقطة غير مستقرة ، مستمرة في هبوطها ـ وربما حتى إشعار آخر ـ صوب قاع الانحدار .

وإذا كان بعض تلك المسؤولية ، يقع على عاتق الشاعر ، فإن الظروف الملتبسة ، التي تدمغ بطابعها هذه المرحلة ، تتحمل العبء الأكبر من المسؤولية .

حين تكون النظم الحاكمة ، مرتهنة لخلافاتها ، وتمزقاتها ، وانقساماتها ، يكون طبيعياً ، أن تنعكس الأزمات الفوقية ، على مختلف توجهات المجتمع . أفراداً وجماعات ، قُوى وامكانيات ، بالتساوي ودون استثناء .

والشعر العربي ، في مجملة ، تجسيد لرؤيا نابعة من ذات الإنسان ، الذي يمثل القاعدة ، والنموذج الكلي ، لهذا الواقع .

الشعر أكبر من كونه ، جهازاً آلياً ، لقياس مستوى ودرجة النبض الصحى ، لهذا المجتمع ، وهو أكثر من كونه ، مرآة عاكسة لصورة ، أو زوايا الواقع الخارجي . .

في مرحلة ما ، من تاريخ مجتمع ما ، يحدث أن يصبح الشعر مُنْحطًّا ،

وسقيماً ، وسجين غيبوبة من الاضطرابات العصبية ، والرؤى الميتافيزيكية . .

وأنا أتمنى أن يكون تقديري هذا ، خاطئاً ، أو مبالغاً فيه . بيد أنني أعترف أن هذه هي حقيقة واقعنا الشعري الراهن .

ولقد ألتمس شيئاً من العذر ، لهذا الشاعر أو ذاك ، فالفارس العربي القديم ، لم يعد وحده ، مثلما كان من قبل ، فارس الساحة .

إنه لايكاد يجد موقعاً لقدمه ، داخل هذا الزحام الخطير ، من أجيال العقول الالكترونية ، والصواريخ عابرة القارات ، ومركبات غزو الفضاء . ومخلوقات عصور التكنولوجيا ، تلك التي تطارد وجوده ، كإنسان طبيعي ، وتحاصر حضوره ، كصوت بشري ، ثم لماذا لا نعطي اضمحلال الشخصية العربية دورها السلبي ، تجاه تحديات الثقافة التأسيسية المسيطرة على مقدرات هذا العالم .

نحن العرب الذين نقف على أعتاب القرن الواحد والعشرين ، هل ترانا نقف بالفعل على أعتاب القرن الواحد والعشرين ؟ هل تختصر الاجابة عن هذا السؤال ، بعض عناصر وأسباب أزمتنا الشعرية المعاصرة ؟

وهكذا تجف مياه المحيطات كلها ، ويقف أولئك النمطيون الحداثيون ، البنيويون الجدد ، يحركون مجاديفهم في الهواء . . يقف واضعو تلك النصوص ، والقوالب المستوردة ، يدقون نواقيسهم ، بانتظار سطوع

شمس الاستعمار الثقافي من جديد .

إن جوهر الابداع الشعري عندي ، إنما يقاس بمستوى قدرته على التماس ، أو التضاد ، مع هذه الهموم الكلية للانسان والمجتمع .

حين يفقد الشعر جوهره ، تتهاوى كل زينة خارجية تألقت في نطاقه ، سواء في ذلك الصور والأخيلة والجماليات .

في تلك الحرب السرِّية المشتعلة ، بين حواسِّي ومَدَاركي ، يتجلَّى سرُّ عذاب شاعر في مثل تجربتي .

وهكذا أتجاوز خجلي وكبريائي ، مُعتَرِفاً بقلقي ، وعصبيتي ، وتعاظم توتُّري .

قلقُ الراكض وراء سراب الحقيقة

وتوتُّر المشدُود ، إلى النماذج العلوية للجمال .

محمد الفيتوري

قصيدة الريـــاح

رُبَّمَـا لمْ تَزَلْ تلكم الأرض

تسكن صورتها الفلكية

لكن شيئاً على سطحها قدْ تكسَّـرْ

رُبَّمَـا ظل بستانُ صيفك

أبْيضَ في الصيف

لكنَّ بْرقَ العواصف

خلف سياجكَ أحْمر

رُبَّمَا كانَ طقسُك ، ناراً مجُوسِيَّةً

في شتاءِ النعاس الذي لا يُفَسَّـرْ

رُبَّمـا كُـنْتَ أَصْغر
ممَّا رَأَتْ فيكَ تلك النبوءاتُ
أَو كنتَ أكْبَـرْ
غير أنك تجهل أَنَّك شَاهِدُ عَصْرٍ عتيقْ
وأن نَيازِكَ مِنْ بشرٍ تتحدَّى السماء
وأن مَـدَارَ النجوم تغير !!

* * *

هَا قَـدْ انطفأتْ شرفاتُ السِّنين
المْشِعَّةُ بالسِّحْرِ واللُّؤْلِؤ الازَليِّ

وَأَسْدَلَ قصْرُ الملائكة المنشدِينَ سَتائِرهُ
وكأنَّ يَداً ضَخْمَةً نسجت
أُفقاً مِنْ شرايينها
في الفضَاءِ السَّدِيميّ
هَا قَدْ تداخَلَتْ اللُّغَـةُ المُسْتحِيلةُ
في جَـدَل الشمْسِ وَالظُّلمَات
كأنَّ أصابعَ مِنْ ذَهبٍ تتَلَمَّسُ
عبر ثقوب التضاريس
إيقَاعَهَا

تِـلْكُمْ الكائِنَاتُ التي تتضوَّعُ في صَمِتهَا

لم تُغَادِرُ بَكارتَها في الصَّبَاح

وَلَمْ تشتعل كرة الثَّلْجُ بَعْد . . !

* * *

فَأيَّـةُ مُعْجِـزَةٍ في يَدَيْك

وَأيَّـةُ عَاصِفَةٍ في نَهَارِكْ

« إنِّي رأيتُ سُقُوطَ الإلَـه

الذي كانَ في بُوخارِسْت

كما لوْ هَوَى بـُرْجُ إيفل في ذات يَوْمٍ

كما لوْ طغَى نهْرُ السِّين

فوْقَ حوائطِ باريسْ

كانَ حَرِيقُ الإلّـه الذي

مَاتَ في بُوخَارِسْتَ عَظيماً

وَكانَ الرَّمَادُ عَظِيماً

وَسَالَ دَمٌ بَاردٌ في التُّرَابْ

وَأُوصِدَ بَابْ

وَوُرِبَ بَابْ

* * *

وَلكنَّ ثَمَّــةَ في بوخارِسْت بلادي أنَا

لاتزولُ الطَّواغِيتْ
أَقْنِعَةٌ تشرِكُ اللهَ في خَلقـه
فهي ليستْ تشيخ
وليْسَتْ تَمُوتْ !
وَقَائمةٌ هي ، باسم القضيَّة
وَأَنْظِمةِ الخطب المِنْبَرِيَّة
وَحَامِلةٌ هى ، سِرَّ الرِّسَالةْ
وَشَمْسَ العدالةْ
وَقَادِرةٌ هي ، تَمْسَخُ رُوحَ الجمالْ

ولا تعرف الحقِّ

أو تعرف العدل

أوْ تَعرِفُ الاستِقَاله

* * *

وفِي بوخارسْت بلادي

أَزْمِنَـةٌ تكنِزُ الفَقْرَ خَلفَ خَزَائِنِهـا . .

وَسُكونٌ جَرِيحْ

وَأَشبَاحُ مَوْتَى مِنَ الجُوعِ

تخضرُّ سيقانهم في الرمالْ

وتَيْبَسُ ثُمَّ تَقِيحْ !

وَمَجْدٌ من الكبرياءِ الذليلة

وَالْكذِب العربيِّ الفصيحْ

«كأنَّك لمْ تأتِ إلاَّ لِكيْ تُشعِلَ النَّارَ

في حطب الشَّرقِ وَحْدك

في حطب الشرقِ وَحْدَكَ

تأْتِي . .

وَشَمْسُكَ زَيْتُونَـةٌ

وَالبَنَفْسَجُ إكليلُ غَارك

ولا شيء في كُتبِ الغَيْبِ غَيرُ قَرَارِكْ »

« إنِّي رأيتُ رِجَالاً

بَنَوْا مِنْ حِجَارة تارِيخِهِمْ وطناً

فَوْقَ حائِط بَرْلين

وَانْحَفَرُوا فيه

ثم تَوَارَوا وَرَاءَ السِّنين

لَكيْ لا يُنكَّسَ رَايَتَهُ المَجْدُ يوماً

على قُبَبِ الميِّتينْ

وكيلاَ تَدُورَ على الأَرْضِ

نَافورَةُ الدم والياسمين ! »

وفـي بُوخَـارِسْتَ التي

سَكَبَتْ رُوحَهَا فيك

وَازْدَهَرَتْ في نُقوش إزارِكْ

في بُوخارِسْتَ انتظَارِكْ

سماءٌ تكادُ تَسيل احْمِرَاراً

وَأيدٍ مُقَوَّسَةٌ تتَعانَقُ خَلْفَ الغيومْ

وَآجُرَّةٌ مِنْ تُرابِ النُّجُومْ

تَظَل تُبَعثِرُهَا الرِّيحُ . .

خَلْفَ مَدَارِكْ !

الرباط ، 1990

التراب المقدس

وَسِّدْ الآنَ رأْسَكَ

فَوْقَ التُّرابِ المقدَّس

وَاركَعْ طويلاً لَدَى حَافَـةِ النَّهْرِ

ثَمَّةَ من سَكَنَتْ رُوحُـهُ شَجَرَ النِّيلِ

أَوْدَخَلتْ في الدُّجَى الأَبنوسيّ

أَوْخَبَّأَتْ ذَاتَها في نُقُوشِ التَّضَارِيس

ثَمَّةَ مَنْ لامَسَتْ شَفَتَاهُ

القرابِينَ قَبْلَكْ

مَمْلَكةُ الزُّرْقَةِ الوثنيةِ . .

قَبْلكَ

عاصِفَةُ اللَّحَظاتِ البطيئـةِ . .

قَبْلك

طقْسُ الوجُوهِ المدلاَّةُ في مِهْرَجَانِ المَشَانِق

قَبْلكْ

يا أيُّها الطيْفُ مُنْفلِتاً مِنْ عُصُورِ الرَّتَابَةِ والمسْخِ

مَاذاوَرَاءَك

في كتب الرمل ؟

مَاذَا أَمَامَكَ ؟

في كُتُبِ الغيْم

إلاَّ الشمُوسُ التي هَبَطتْ في المُحِيطاتِ

وَالكائناتُ التي انحَدَرَتْ في الظَّلاَمْ

وَامْتلاُؤكَ بالدَّمْعِ

حَتَّى تَراكَمَتَ تَحْتَ تُرَابِ الكلامْ

* * *

وَسِّدْ الآنَ رَأْسَكَ

مُتْعَبةٌ هَذهِ الرأسُ .

مُتْعَبةٌ

مِثْلَمَا اضْطَرَبَتْ نَجْمةٌ في مَدَارَاتِها

أَمْس قَدْ مَرَّ طاغِيةٌ من هُنَا

نَافِخاً بُوقَه تَحْتَ أَقْوَاسِهَا

وَانْتَهَى حَيْثُ مَرَّ

كانَ سَقْفَ رَصَاصٍ ثَقِيلاً

تَهَالَكَ فَوْقَ المَدِينةِ والنَّاس

كانَ الدَّمَامَةَ في الكوْنِ

والجُوعَ في الأرْضِ

وَالقَهْرَ في الناس

قَدْ مَرَّ طاغِيةٌ مِنْ هُنَا ذاتَ ليل

أَتَى فوق دبَّـابَةٍ

وَتَسَلَّقَ مَجْداً

وَحَاصَرَ شعباً

غَاصَ في جِسْمِه . .

ثم هَامَ بعيداً

ونَصَّبَ مِنْ نَفْسِه للفجِيعَةِ رَبًّا

* * *

وَسِّدْ الآنَ رَأْسَك

غَيْمُ الحَقِيقَةِ دَرْبُ ضِيَائِك

رَجْعُ التَّرانِيمِ نَبْعُ بُكائكْ
يَا جَرسَ الصَّدفَاتِ البَعْيدَة
في حَـفْلةِ النـَّوْءِ
يَشْتَاقُكَ الحَرَسُ الواقفُون
بأَسْيافِهِمْ وَبَيَارِقِهمْ
فَوْقَ سُور المدينَة
وَالقُبَّةُ المُسْتَدِيرةُ في سَاحَةِ الشَّمْس
والغَيْمَةُ الذَّهَبيَّةُ
سَابِحَةً في الشِّتَاءِ الرَّمادِيّ
والأُفُقُ الأَرْجُوَانيُّ والأَرْصِفَة

وَرُؤوسُ مُلُوكٍ مُرَصَّعةٌ بالأسَاطِير

والشعر .

والعاصفة

* * *

أمْس جِئتَ غَريباً

وَأمْس مَضَيْتَ غريباً

وَهَا أنْتَ ذَا حَيْثُما أَنْتَ

تَأْتِي غرِيباً

وَتَمْضِي غريباً

تُحدِّق فيك وُجُوهُ الدُّخَانِ

وَتَدْنُو قليلاً . .

وَتَنْأَى قَلِيلا

وَتَهْوِى البرُوقُ عَلَيْك

وَتَجْمُدُ في فجوات القِنَاع يَدَاك

وَتَسْأَلُ طَاحُونَةُ الرِّيحَ عَنْك

كأنَّكَ لمْ تَكُ يَوْماً هناكَ

كأنْ لَمْ تكُنْ قَطُّ يومًا هنالك

* * *

وَسِّدْ الآنَ رِأسَكَ

في البدء كانَ السُّكُونُ الجليل

وفي الغد كَانَ اشْتِعَالُك

وَسِّدْ الآنَ رأْسَكْ

كان احتِجَابُكَ

كانَ غِيَابُكْ

كَانَ اكتِمَالك

* * *

وَسِّدْ الآن رأْسَك

هذا هُوَ النَّهْرُ تَغْزِلهُ مَرَّتَيْن

وتنقضه مَرَّتَيْن

وَهذا العَذَاب جَمالُكَ

الخرطوم 1987

إلى نيلســون مانديلا

سَاكِنٌ أبداً في طقوسِكَ

مِثْلُ إلاهٍ قَديمٍ

يُرَصِّعُهُ ذَهَبُ الشَّمْس

يَا أَبْنُوسَ الخَرِيفِ الجَنُوبِيِّ

كَيْفَ يَكُونُ جَلاَلُ الشَّهَادَةِ

إنْ لمْ تكُنْ أَنْت !

تُولدُ في المَوْتِ

تكبُرُ في المَوْتِ

تَطْلعُ حَقْلَ نُجُومٍ عَلى حَائِطِ المَوْتِ

تُصْبحُ أَوْسِمَةً مِنْ بُرُوقٍ

وَعَاصِفةً مِنْ غِنَاءٍ

وَغَاباً عظيماً مِنَ الرَّقْصِ

أَذْهَلْتني في نِضَالِكْ

تَدْمغُ أَعْنَاقَ مَنْ دَمَغُوكَ

وَتَسْجِنُ في العَصْرِ مَـنْ سَجَنُوكَ

وأنْتَ سجينٌ هُنَالِكْ

أَغرَقْتَنِي في اكتِمالك

مانديــللا

مانديــللا

* * *

- إنَّما يَحْصِدُ القَهْرَ

مَنْ يَزرَعُ القَهْرَ في زَمَني

إنَّما يلبَسُ الخوْفَ

مَنْ ينْسُجُ الخوْفَ فِي بَدَني

إنَّما الموْتُ مَوْتُ ابْتِلائي

أمَّا أَنا فَسَأَبْقَى

أُراقصُ حُرِّيَّتي

وأدافع بَيْنَ هَديرِ الملاَيين

عَن وَطَني

* * *

مانديللا

مَانْديللا

- إنَّ حُرِّيتي هِىَ مِيْرَاثُ أرضي

وَمُعْجِزَتِي

وَتَوَهُّجُ دَرْبِي

مانْديللا

- إنَّ حُرِّيَتِي هِيَ حُرِّيتي

في خُلُودِ نِضَالِي

وَفي عَبْقَرِيَّةِ شَعْبِي

مَانْديللا

- إنَّ حُرِّيَتِي هيَ بَدْئِي وَخَاتِمَتِي

وَهِيَ دِينِي العَظِيمُ وَربِّي

* * *

وَكَيْفَ تكُونُ سَجِيناً

وَأَنْتَ هُنَالِكَ تَرْسُمُ وَجْهَكَ

في شَهَقَاتِ الصَّبَايا

وَأَدْخِنَةِ الغُرَفِ المعْتِمَات

وفَوْقَ رِمَادِ المَنَاجِمْ

كيْفَ تكُونُ سَجِيناً

وَهُمْ يَلْهَثُونَ وَرَاءَكَ

تَحْتَ جُسُورِ بِرِيتُورْيَا

وَبنَايَاتِهَا الرَاعِشَات

وَأَنْتَ تُكافِئُهُمْ بالهَزَائِمْ

* * *

مانْديللا

أيُّها البطلُ الشَّيْخُ

مُغْتَسِلاً بِمِيَاهِ الثَّمانِين

مُخْتَبِئاً فِي تَجَلِّيك

أَنْهَكَنِي سَفَرِي فيك

أعرف أنَّكَ ضَوءٌ على زَمَنِي

هكذا أَنْتَ

فامْكثْ كما أَنْتَ

كُنْ هَكَذا خَالِداً في مَعَانِيك

مُتَّكِئاً فَوْقَ مَجْدِ الثَّمانين

وَابْقَ مَكانك

ابْقَ مَكانَكْ

ابْقَ مَكانك

طرابلس 1989

إنهــا مصر ..

لا تَرْتَجِفْ عَيْنَاكَ

إنَّ الضَوْءَ مَسْكوبٌ على الأَشْيَاءِ

وَالصُّورة في تَمَوُّجِ العَيْنَيْن

لا تَرْتَجِفْ

ها هي ذي الأَرْضُ

التي تمتَدُّ في خَارِطةِ الدُّنْيَا

وَهَذَا نِيلُكَ الإلَهِيُّ اليَدَيْن

أَعْمِدةُ التَّاريخ

والأَهْرَامُ سَقْفُ الكَوْن

والأَزْهَرُ في جِلْبَابِهِ الضَّافي

وَقُبَّةُ الحُسَيْن . . .

بُسْتَانُ أَيَّامِكَ في أَيَّامِكَ الأُولى

إِنْتِفاضَاتُ جَنَاحِ الطائِرِ المسْجُون

في أَصَابعِ اليَدَيْن

لَمْ تَأْتِ . . ولمْ تَذْهَبْ بَعيداً

أيُّها الطفْلُ الذي اسْتَلقِي على قَارِعَةِ الوَقْتِ

عَجِيبٌ أَنْتَ مِثْلُ الوقْتِ

لاتُدْرِكُ كَيْفَ اختلطتْ أَقْنِعَةُ الموْتى

وَفِي أَيَّةِ رُؤْيا اغْتَسَل العاشِقُ بالذِّكْرى

وَأَيْن ؟

* * *

لا ترْتَجِفُ . . .

لمْ تأتِ مِنْ ماضٍ ، وَلَمْ تَذْهبْ بعيداً

أنْتَ كَمَنْ يَحْلُمُ

كانَتْ تَنْسُجُ الأقدار

أرْجُوحَتَك المزرقَّة المصفرَّةَ ، السوْدَاء

كانتْ مِصْرُ تغروْرِقُ بالدَّمع

فَتَبْتَلُّ السَّماوَاتُ

وَأشْجارُ السَّماوات

وَسَاحاتُ المَدَائِنْ

وَالتَّصَاويرُ التي ترْسُمُهَا في الليل

وَأقواسُكَ في الليل

وَأصْوَاتُ المداخِن

رُبَّمَا أبْصَرْتَهَا تَائِهةً تَرْكضُ في الغيم

فَاسْتَيْقَظتَ مَقْرُوراً مِنَ الخوف

لِمَاذا انْفَرَطَتْ سَبَائِكُ الفِضَّةِ في الأَرض

وَقَصَّتْ شَعْرها الشَّمْسُ

لمَاذَا الأرْضُ ، والحنطةُ ، والشَّمْسُ

احمِلُوا يا أيُّها الآتُونَ ألْواحَ البِدَايات

وَكُونوا بِذْرَةَ الفَجْر الذي يَنْمو جَنِيناً في حَشَاها

إنَّها مِصْر

إنها مصر

* * *

وَلكنَّكَ لمْ تَأْتِ ، ولَمْ تَذْهَبْ

سَلاَمٌ لانكفَاءِ الأَرْجُلِ المُثْقلة التَّعْبَى

عَلَى أَحْجارِهَا المُثْقِلةِ التَّعْبَى

سَلامٌ لارتعاشاتِ الأيادِي والمناجِلْ

لِحَائِطِ الصَّفْصَافِ ، والكافُور

والحور ، وأمواجِ المَشَاعِلْ

لِبَحَّةِ النَّاي

وَآهاتِ الأَراغِيلِ

وإيقاعَ الجَدَاولْ

لِقَامَةٍ سَمْرَاءَ ، يكسوها الصِّبَا الحُلْوُ

وخَلْخَال يُغَازِلْ

لِوَجْهِ فَلاَّحٍ عن التُّرْبَةِ

وَالتَّاريخِ ، والحُبِّ يِقَاتِلْ

وَللعَصَافِيرِ التي تَجْرِي مع الأطفال

في عِيدِ السَّنَابِلْ

* * *

لا تَرْتَجِفْ

إِنَّكْ لم تذْهَبْ ، وَلَمْ تَأْتِ

غفَوْتَ أعْوَاماً

وَهَذا أنْتَ صَاحٍ حَالِمٌ بَيْنَ يَدَيْهَا

إِنَّها مِصْر . . إِنَّها مِصْر . .

القاهرة 1989

ليس طفلا وحجارة !

لَيْسَ طفلاً ، ذَلِكَ الخارجُ مِنْ أَزْمنَةِ الموْتَى . .

إِلا هِيَّ الإِشَارةْ

لَيْسَ طفلاً ، وَحِجَارةْ

لَيْسَ شمساً مِنْ نُحاس وَرَمَادْ

ليسَ طوْقاً حَوْل أعناقِ الطَّوَاويس . .

مُحَلَّى بالسَّوَادْ

إِنَّهُ طقْسُ حَضَارةْ

إِنَّهُ إيقَاعُ شَعْبٍ وَبلادْ

إنَّهُ العصْرُ يُغَطِّي عُرْيَهُ

في ظل مُوسِيقى الحِدَادْ

لَيْسَ طِفلاً ، ذلِك الخارِجُ

مِنْ قُبَّعَةِ الحاخَامِ

مِنْ قَوْسِ الهَزَائِمْ

لَيْسَ طِفلاً وَتَمَائِمْ

إنَّهُ العَدلُ الذي يَكْبرُ في صَمْتِ الجرائِمْ

إنَّهُ التَّارِيخُ مَسْقُوفاً بأَزْهَارِ الجماجِمْ

إنَّهُ رُوحُ فلسطينَ المُقَـاوِمْ

إنَّهُ الأرضُ التي لم تَـخُنْ الأرْضَ

وخـانَتْهـا الطرابيشُ . .

وَخانَتْهَـا العمـائِمْ . .

إِنَّهُ الحقُّ الذي لم يَخُنْ الحَقَّ

وَخَانَتْهُ الحكوماتُ

وَخَانَتْهُ المحاكِمْ

فأنْتَزِعْ نَفْسَكَ مِنْ نَفْسِك

وَاسْكُبْ أَيُّها الزَّيْتُ الفلسطينيُّ أَقْمَارَكَ

وَاحضُنْ ذَاتَكَ الكُبْرَى وَقَاوِمْ

وَأَضِىءْ نافِذَةَ البحْرِ ، عَلَى البحْرِ

وَقُلْ للموج :

إنَّ المَوْجَ قادِمْ

* * *

— 2 —

لَسْتَ طِفْلاً ، أيها القادِمُ

في عَاصِفَةِ الثَّلج . .

وَأمْوَاج الضبابْ

لسْتَ طفلاً قطُّ ، في هَذَا العَذَابْ

صَدِئَتْ نجمةُ هَذَ الوطن المُحْتَلِّ

في مَسْرَاكَ ، مِنْ بَابٍ لِبَابْ

مِثْلَ شَحَّاذٍ تَقَوَّسْتَ طويلاً

في أقالِيمَ الضَّبابْ

وكزنْجِيٍّ مِنَ الماضي

تَسَمَّرتَ وَرَاءَ الليل ، مَثْقُوبَ الحِجَابْ

لَسْتَ طِفْلاً يَتَجَلَّى عَابِثاً

في لُعْبَةِ الكَوْنِ المحطَّمْ

أَنْتَ في سُنْبُلة النَّار

وَفي البَرْقِ الملثَّـمْ

كَانَ مَقْدُوراً الإغْصَانِكَ ، مَجْدُ الأَعْمِدَة

وَلأَمْطَارِكَ سَقْفُ الأُمَم المُتَّحِدَة

وَلأَحْجَارِكَ بَهْوُ الأَوْجُهِ المُرْتَعِدَة

* * *

لَسْتَ طفلاً . .

هكذا تُوالدُ في العَصْرِ اليَهُودِيِّ

وَتَشْتَغْرِقُ فِي الحُلمِ أَمَامَه

عَارِياً إلاَّ مِنَ القُدْسِ . .

وَمِنْ زَيْتُونَةِ الأَقْصَى

وَنَاقُوسِ القِيَامه

شَفَقِيًّا ، وشفِيفاً كغمامَة

وَاحتفاليًّا كأكْفَان شَهِيد

وَفِدائِيـًّا مِنَ الجُرْح البعيدْ

ولَقد تَصْلُبُكَ النازِيَّـةُ السَّوْدَاءُ

في أقبية العصر الجدِيدْ

وعَلَى مَنْ غَرسُوا القُضْبانَ في عَيْنَيْه
أَنْ لاَ يَتَأَلَّـمْ
وعَلَى مَنْ شَهِد المَأسَاةَ
أنْ لا يَتَكَلَّـمْ !

الرباط 1988 ـ 1 ـ 21

وقـال مسعــود الحكيـم

كانُوا وَكَانَ هُنَاكْ

كادَ يَفُضُّ سِرَّ عَذَابِهِ للآخَرِينِ . . وَلَمْ يَكَدْ

وَكَأَنَّمَـا انطبَقَتْ تَوَابِيتُ الكَلاَمِ عَلى الشِّفَاهْ

هِيَ كِلْمَةٌ نَبَوِيَّةٌ

لوْقَالَهَـا ، يَا وَيْلَتَاهْ

لتَصَدَّعَ التَّارِيخُ بَيْن يَدَيْه

وَارْتَطَمَتْ عَلَى قَدَمَيْه تِيجَانُ الطُّغَاة

* * *

كانَ الَّذِينَ أَتوْا مِنَ الماضي

يعانقُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً

وَيَمْضِي في اضْطِرابِ الموْج

أوْ يَصْطَفُّ عَبْرَ شُخُوصِهِ المُتَبَرِّجَاتِ هُنَاكْ

كان الزَّعْتَرُ الجَبَليُّ

وَالزَّقُّومُ يَدْفِنُ رِأْسَهُ قَلِقاً

وَأَغْصَانُ الأَرَاكْ

وَفَرَاشَةٌ ذَهَبِيَّةٌ

تَعْلُو وَتَهْبُط في الشُّبَاكْ

وَأَتَوْا يَدُوسُونَ المَدَائِنَ

قال مسعُودُ الحكيم :

ـ الشمْسُ زهْرَتُنَا التي انسكبتْ على جَسَدِ الجنوب

وَأَنْتَ زَهْرَتُنا التي انْسَكَبَتْ على أَرْوَاحِنَا

فادفع شَرَاعَكَ صَوْبَنَا

كَيْ لاَ تضَيعْ . . !

وَافرِدْ جَنَاحَكَ في قَوَافِلِنَا

إِذَا اشْتَدَّ الصَّقيعْ

وَاحْذَرْ بُكاءَ الراكِعين السَّاجِدِينَ لديْك

إنَّ الله في فَرَحِ الجُموعْ

واخجل . .

إذا هَطلتْ عَنَاقِيدُ الدُّمُـوعْ

وَكَانَ للكلماتِ رِيشُ الطَّيْر

والفقراء كانُوا يَدْفِنُونَ رُؤُسَهُمْ

في صَوْتِ مَسْعُود الحكِيمْ

* * *

وَقَال للرَّجُلِ الذي اسْتَوْلى

على فَلَكِ النُّجُومْ :

لِمَنْ أَتَيْتَ إذَنْ ؟

وَأَنْتَ كما تَرَى

حُجُبٌ ، وَأبواقٌ مُذَهَّبَةٌ

وَعَصْرُكَ في يَدَيْك

لِمَنْ أَتَيْتَ إذَنْ ؟

وَقَد تَدَاخَلَتْ البراقِعُ في البراقِعْ

وَاسْتَوَى الماشُونَ في الإِعْصَار

وَاخْتَلطُوا لَدَيْك

لِمَنْ أتيت ؟

وَأَنْتَ تَنقُضُهُمْ ، وَتَغْزِلُهُمْ

وَتَنقُضُهُمْ . . وَتَغْزِلُهُمْ

وَتَعْقِدُ حَاجِبَيْكَ . .

إعْلَمْ بأنَّ قُماشَةَ الأَيَّام

مِنْ خيطَانِ غَزْلِكْ

وَهِي ضَافِيَةٌ عَلَيْكْ

اسْمَعْ ولا تَغْضَبْ

أو اغْضَبْ كيْفَ شِئْتَ . .

أَصَابِعُ الفُقَرَاءِ ، مِثْل حَرائقِ التَّارِيخ

تُشْعِلُ نارها أبداً

وَتسكن جانبيك

* * *

وقال مَسْعُود الحكيم :

ـ وَحَقِّ علمك بي . .

وَحِكْمِتكَ التي هي بَعْضُ جَهْلي

إِنَّني اسْتَبْقَيْتُ أَيَّامِي عَلَيْكْ

وَأَنْتَ تعْرِفُ أَنَّني اسْتَبْقَيْتُ أَيَّامِي عَلَيْك

فأَنْتَ في لوْحِ البَهَاءِ السَّرْمَدِيّ

حِكايَةٌ قمرية

تحلو قِرَاءَتُها لِمِثْلي

* * *

كانَ يا ما كانَ

في الزَّمَنِ الطريحِ عَلى فِراشِ الموْتِ

كانَ فتًى مِنَ الصحراء

يدخل ظل خيْمتِهِ ويَحْلُمْ

كانَ يَحْلُمُ

كانَ يَحْلُمُ

ثُمَّ تمْتَدُّ عَلَى الآفَاقِ في عَيْنَيْه

رؤْيا الانعِتَاقُ

لم يكُنْ ثَمَّــةَ إلاَّ السِّرُّ والسِّرُّ

وَغَيْمٌ أَزْرَقٌ

يَحْجِبُ بوَّابَاتِ فَزَّان (*)

وَخَمْسٌ مِنْ رِفَاقْ

لَمْ يَكنْ ثَمَّــةَ فِي فَزَّان إلاَّ لُــؤْلُؤُ النَّخْل

ويَاقُوتُ اليَنابِيعِ العِتَاق

(*) عاصمة الجنوب الليبي

وَشِفَاهٌ هي بَيْنَ الله والأَرْضِ وِثَاقْ

* * *

كانَ يَا مَا كَانَ . .

لكنَّ الفتى الحالِمَ بالبَرْقِ وَأَقْوَاسِ الغَمَامْ

كان يَبْدُو مِثْلَ مَنْ لوَّحَهُ العِشْقُ

وَأَضْناهُ الغَرَامْ

كَانَ مَسْكُوناً بأشْبَاحِ الظَّلامْ

وَبِأجْيَالٍ على أرصفة القهر تَنَامْ

* * *

كانَ يا مَا كانَ . .

وَاسْتَرْسَلَ مَسْعُودُ الحكِيمْ

في حَكاياهُ عَنْ الأَحْياءِ والموْتَى

وَأبْطَالِ الأَسَاطِير

وَغنَّى مِثْلَما كان يُغَنِّي مِنْ قَديمْ :

أيهَا الصَّاعِدُ نَحْو الشَّمْسِ

كَمْ مِنْ صَاعِدٍ قَبْلك

كمْ مِنْ صَاعِدٍ بَعْدك

في أُرْجُوحَةِ الكَوْنِ العَظِيمْ

فَتَعَلَّمْ ، وَتَعَلَّمْ

أَنَّ إِشْرَاقَـةَ أَيَّامِكَ فِي إِشْرَاقَةِ النَّاسْ

وَأَنَّ القَهْر مَوتٌ يسْكُنَ القَاهِرَ

وَالبُغْضُ رَمَادُ الرُّوح

وَالظُّـلمُ عَقِيمْ

وَتَعَلَّمْ . .

أَنَّ عَدْلَ الله في الأَرْضِ . .

وَفِي النَّاسِ مُقِيمْ

الرباط 1987

المتنبي

يَمُرُّ غَيْرُكَ فِيهَا وهُو مُحْتَضَرُ

لا برقُ يخطفُ عَيْنَيْهِ ولا مَطَرُ

وَأَنْتَ . . لا أسألُ التَّارِيخَ عن هَرَمٍ

في ظِلِّه قِمَمُ التاريخ تنتظر

عَنْ عاشِقٍ في الذُّرَى . . .

لمْ تَكْتَمِلْ أبداً

إلاَّ عَلَى صَدْرِهِ الآياتُ والسُّوَرُ

عنْ الذي كانَ عَصْراً شامِخاً

وَيَداً تشُدُّ عَصْراً إِلَيْهَا . .

وهو يَنْحَدِرُ

يمُرُّ غيرك . .

بَعْضُ العابرِينَ عَلَى بُطُونِهِمْ

يُثْقِلُونَ الأَرْضَ إنْ عَبَرُوا

كمِثْل مَنْ أَبْصَرتْ عَيْنَاك . .

ثمَ نَأَتْ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ . .

فَلاَ غَابُوا . . ولا حَضَرُوا . .

وَبَعْضُهُم أنْتَ تَدْري . .

ان شِعْرَكَ لوْ لم يُلَق ضَوءاً

علَى أيَّامِهِمْ غَبَرَوا

كانُوا مُلُوكاً على أرْضٍ مُمَزَّقَةٍ

يَجُوعُ فَوْقَ ثَرَاها النَّبْتُ والبشرُ

كانوا مُلُوكاً مَمَالِيكا . .

وَأَعْظمهم تحت السَّمَواتِ

من في ظلك اسْتَتَرُوا

* * *

ورُحْتَ تَنْفُخُ فيهمْ مِنْكَ

ترفعهم ، فيسقط البعض .

أو تبني . . فَينْكَسِرُ

أَرَدْتَ تخلقُ أبطالاً ، تُعِيدُ بهمْ

عَصْرَ النُّـبُوَّة والرْؤيا ، فما قَدِرُوا

هتفْتَ : يا عُمْرُ

مَكتُوبٌ لكَ العُمُرُ

وَليْسَ يُنْقِصُ فِيكَ الجُهْدُ والسَّهَرُ

وَإنما تَنْقُصُ الأعمارُ في وَطَنٍ

يَغْتالُـهُ القَهْرُ ، أو يَغْتَالُـهُ الخطرُ

وَقُلتَ . !

والشَّاهِدَانِ ، اللَّيْلُ والسَفَرُ

وَشُعْلَةٌ في مدار الكون تَسْتَعرُ

هَذِي الطُيُورُ التي احمرَّتْ مَخَالِيبُها

فوق الصخور لنا . .

وَلْتَسْتَحِ الحُفَرُ

وَسِرْتَ غضبان في التَّاريخ

لا عنقٌ إلاَّ ومنْكَ عَلَى طيَّاتِه أَثَرُ

تصفو ، وتجفو

وتستعلي ، وتبتدر

وتستفز ، وتستثنى ، وتحتقر

هذا زمانُكَ . .

لا هَذَا زَمَانُهُم

فَأَنْتَ مَعْنَى وُجُودٍ ليْسَ يَنْحَصِرُ

«[1] في كُلِّ أرض وَطِئتها أمم

تُرْعَى بَعيْدٍ كأنها غنم

وإنما الناس بالملوك . .

وما تصلح عُربٌ مُلوكُها عَجَمُ »

---

(1) أبيات مقتبسة عن المتنبي

وَتكْفَهِرُّ على مِرْآتك الصُّوَرُ

«أتعقم الأرض ؟ هذي الأم . . !

أَيُّ دُجًى هَذَا الذي في عُيونِ النَّاسِ يَنْتَشِرُ

وَينْحني شجَرُ الأَيّام . .

وَالغَضَبُ القُدْسيُّ يَغْدُو انكِسَاراتٍ

وَيَنْحسِرُ

* * *

فَلتَسْمَعْ النُّصُبُ الجَوْفاءُ والأُطُرُ

هَذِي الأغاني البواكي في فمي نُذُرُ

إذا تَسَاقَطَ في أيامهم عَلمٌ

فَإِنَّ أعْـلاَمَ مَنْ يأتي سَتَنْتَصِرُ

وَإنْ يَخُنْ خائِنٌ فالأرْضُ وَاحِدَةٌ

بِرَغْمِ مَنْ خَانَ . . والآلامُ تُخْتَبَرُ

* * *

وقلت بَغْدَادُ

يَا بَغْدَادُ أيُّ فتى كان الفَتَى . .

وَهُو في عَيْنيك يَزْدَهِرُ

أَنتِ التي اخْتَرْتِه للعِشْق . .

كانَ إذا رآكِ في لهبِ الأحْدَاثِ

يَنْفَجرُ

وَيَحْرُثُ الأَرْضَ كالمجنون . .

يحرثُها بِرَاحتيْنِ هُمَا الإحْباطُ والظَّفَرُ

أَقَلُّ مَجْدِكَ أن الفاتحين وَقَدْ

جَاءُوا غُـزَاةً عَلَى أَبْوَابك انْكَسَرُوا

وبَعْضُ مَجْدِي ، أَنَّ الكوْنَ لِي فَلَكٌ

شِعْرِي وَأَنْت عَلَيْه : الشمْسُ والقَمَرُ

بَغْدَادُ . . أَشْأَمْتُ مَشْدُوداً إِليكِ . .

ويَا شَامَ الهَوَى أنَا في العاقُولِ أنتظِرُ

وَيَا حَدَائِقَ كافُورَ القديم . .

سِوَى تِلكَ الثِّمارِ التي حُمِّلْتِهَا الثَّمَرُ

* * *

الله . . يا كمْ تَغَرَّبْنَا

وَكَمْ بَلغَتْ منا الهُمُومُ . .

كما لَمْ يَبْلُغْ الكِبَرُ

فَإِنْ أَكُنْ أَمْس قد غَازَلْتُ أُمْنِيةً

حيث آستوى الصَّمْتُ

أَوْ حَيْثُ ا سْتَوىَ الضّجَرُ

فالمجْدُ أَعْظَمُ إيقَاعاً . .

وَرُبَّ دَمٍ يَمْشِي حَزِيناً

وَيَمْشِي إِثْرَهُ القَدَرُ

بغداد 11 ـ 5 ـ 1977

إلى فتحي سعيد

مَلِيءٌ بآفَاقِ البُكاءِ

قصائِدِي عَلَيْكَ سَجِينَاتٌ

يُطوِّقْنَني حُزْناً

تمنيت أنْ ألقاك حَيًّا . .

وَبي هَوىً لِمِصْرَ ، التي

مَا غَادَرَتْ قَطُّ لِي جَفْناً

وَلكنَّها الأقْدَارُ تلهُو . .

وَرُبَّما مَضَى المرْءُ في أيامِهِ يَحْصِدُ الغَبْنَا

أَخِي . . يَا أَخَا الماضِي . .

كأنَّكَ لم تكُنْ

وَأَنْتَ الذي قَدْ كُنْتَ فِينَا

وَقَدْ كُنَّا

تَعَلَّمْتُ مِنْكَ اليَوْمَ شيئاً جَهِلتُهُ

فَصِرْتُ به أدرى

وَصِرْتُ لهُ أَدْنى

تعلَّمتُ مِنْكَ الموْتَ

وَالمرْءُ فاقِدٌ لِمَعْنَاهُ

مَالمْ يَلْقَ في مَوْتِهِ مَعْنى

تعلَّمْتُ أَنَّ المَجْدَ غَيْرُ الذي رَأى الحقُودُ

وَأَنَّ الخُلْدَ غيرُ الذي ظَنَّا

تعَلَّمْتُ أنَّ الشِّعْرَ أن يَذْهَبَ الفَتَى بَعيداً

ويَبْقَى بَعْدَهُ كُلُّ مَا غَنَّى

وَيَا مِصْرُ يَبْقَى ضَوْءُ وَجْهِكِ بَاهِراً

مَـــدَاهُ . .

وَصَوْتُ الحقِّ فِي صَوْتِكِ الأَسْنَى

وتَبْقِينَ أُمّا . .

كُلَّمَـا تاهَ عَـاشِقٌ ، وَأَوْغَلَ فِي مَسْراهُ

كُنْتِ لـهُ حِضْناً

الرباط 1 ـ 25 ـ 1989

مقام في مقام العراق

غَائِبُ . .

وَالعُيُونُ عليكَ اشْتِياقْ

هَائِمٌ

خَمْرُكَ الذِّكْرياتُ العِتَاقْ

كلما عَانَقَتْكَ مَرَايا الوُجُوه

تَبَعْثَرتَ فَوْقَ زُجَاج العِناق

يَاسَحَاباً مِنَ اللَّحْمِ والعظْم

يَمْخُرُ في حُلمِ عَاصِفٍ لايُطَاقْ

غيْرُ هَذَا الزمان زَمَانُك . .

فاللحظة انطَبقَتْ

وَالشِّفَاهُ انزلاقْ

غَيْرُ تلك البلادِ بلادُكَ

لوْلا اليقينُ . .

ولولا شُمُوخُ العِرَاقْ

العِرَاقُ . .

الأَيادي التي غَسَلتْ جَبْهةَ الشَّرْق بالدَّم

حَتَّى أَفَاقْ

العراقْ

الصَّحَائِفُ مُذْهَبَةُ النقْش

في زَمَنِ العَجْز والانْسِحَاقْ

العِرَاقُ

المَلاحِمُ لاتَنْتَهِي . .

وَالرُّؤي ثَوْرَةٌ

وَالحُضُورُ ائْتِلاقْ

ويظل العِرَاقُ مَدَاراً

وبَغْدَادُ شَمْساً . .

تُضيء مَدَارَ العِرَاقِ

وعَلَى دَرَجِ القَادِسِيَّة

قَوْسٌ مِنَ المجْدِ لايعرفُ الاخْتِرَاقْ

طَاوَلَتْـهُ يَدٌ . . لمْ تَكَدْ

ثُمَّ لَمْ تَقْوَ . . وَاهْتَرَأَتْ

وَاحْتَوَاهَا السِّيَاقْ

كُلُّ مَا كَانَ بالأمْسِ

أَنَّ المَغُولَ أَتَوْا في الدُّجى

وَمَضَوْا في المَحاقْ

كل ما كان أَنَّ التوابيتَ عَادَتْ بأَمْواتِهَا . .

خَائِبَاتِ السِّبَاق

كلُّ مَا كانَ . .

أَنَّ طيُورَ الزُّوَاقِ الجميلِ تَسَاقَط عَنْها الزُّوَاقْ

* * *

وتُـقِيمُ المقادير فيكَ احْتِجاجاً
عَلَى وَطنٍ أبَدِيٍّ الوِثَاقْ
ضَاعَ بَيْنَ صِرَاع المماليك والأغَوَاتِ
وَفُرْسَانِ عَصْرِ الوِفَاقْ
وَطَنٌ . .
بَيْرقٌ مِنْ نُـقُوشٍ . .
وَأرْوَاحُ آلِهَةٍ
وَهَيُولَى ازْرِقَاقْ
حَجِبُوا الله ، والشَّمْسَ . .
وَالحُبَّ عَنْهُ

فَأَصْبحَ سِجْناً كَبِيراً . .

وَضَاقْ !

جَزَّؤوهُ . .

وَقَدْ كانَ شَعْباً . .

فَأَضْحَى شُعُوباً مُعَبَّأَةً في زِقَاقْ

وَاسْتُبِيحَ التُّرابُ . .

الَّذِي كانَ مِنْ قَبْلُ ، فَوْقَ التُّراب

عَزِيزَ النِّطَاقْ

والبلاد التى مَسَحَتْ رَاحَتَاهَا الْمُقَدَّسَتَانِ

جَبِينَ البُرَاقْ

حَمَلتْ عَارَهَا مِنْ زُهُورِ الهَزَائِم . .

وَالعَتَمَاتِ . .

وَخُبزِ الفِرَاقْ

* * *

غَيْرُ طِفْلٍ هُنَاكَ

رَأى وَطناً صَارَ في حُلْمِهِ حَجَراً

فَاسْتَفاقْ

يَعْجنُ النَّارَ والصَّلَواتِ بأَسْنَانِهِ

وَيَدوسُ حَرِيرَ النِّفَاقْ

هَتَكَ السِّـرَّ . .

فَالأمسُ كان مُرَاهَقَةً

وَالنِّضَال القَدِيمُ ارْتِزَاقْ

وَالجُيُوشُ التي سَمِنَتْ في حظَائِرِ حُكَّامِهَا

كِذْبَةٌ . . وَاخْتِلاَقْ

إنما يَسْتَرِدُّ البلادَ . .

الرِّجَالُ الأُسُودُ

وليْسَ الرِّجَالُ النِّيَاقْ

* * *

وَفلسطين أرضٌ وشَعْبٌ

وَليْسَتْ كما زعمُوا حَارة أوْزُقَاقْ

ويُسَائِلُكَ الميِّتُ الحيُّ . .
وَالدَّمُ يَخْتَال مُنْتَصراً أَوْ يُرَاقْ
عَاصِفٌ غَيْمُ تِلْكَ الليالي .
على أَنَّ مَوْجاً مِنَ البرق في الغَيْم
بَاقْ
وَقَديماً تأَنَّـقَ رُوحُ الجمال
فَأَلْقِ عَلَى كُلِّ جَفْنٍ رُوَاقْ
وَقَدِيماً تَجَلَّى بَهَاءُ الأُلُوهَةِ
في نَشْوَةِ الكائِنَاتِ الدِّقَاقْ

وَلَقَدْ يَظْمَأُ العُشْبُ . .

والماءُ يركُضُ حَيْرانُ . .

في فَجَواتِ المآقْ

* * *

إملائي هذه الكأسَ مِنْكِ

فَقَدْ ظَمِئتْ كَأس رُوحي للإنعِتَاقْ

وَدَعِيني أغِبْ فِيكِ ، طائرِ شِعْرٍ

جَنَاحَاهُ من نَغَمٍ وَاحْتِراقْ

يَا بلادي التي حَمَلْتِنِي بَعِيداً إلى عُرْسِهَا . .

يابلادي العِرَاق !

الرباط 1988

رَكْـعَتان للعشق تحت شَمسها ..!

تَتَعَاكسُ المرآةُ في شفَق الغروبِ لديْك
تنَحْتُ صُورَةً حجرِّيةً لمدينة في الليل تَبْني
مَعْبداً لغرائب الأسرار والفوضى
تُزخْرِفُ تحت سَقْف الريح
أُبَّهةً ممزَّقةً منَ الألوانِ
تلك الخيْلُ سَابحةً على رَقَصَاتِها
الصَّدفيَّةِ الملَساءِ
تِلكَ الجوْقةُ الرَّمليَّةُ العمياء
أقْنِعةٌ مُفرَّغَةٌ مِنَ الرُّؤيا
فلا تَسْكُبْ دِماءكَ في الحروف سُدىً
كما يتصنَّعُ الموْتَى مِنَ الشُّعَرَاء !

* * *

قُلْ لطقُوسُ عَصْر العتَّمةِ أنْطفئى

وللجيل الذي يتَوسَّدُ التارَيخَ

كُنْ لهبًا إلَـهيًّاً ، وَكُنْ ذَهَبا

وللأبطال والشُّعَراءِ والأشْباهْ

قُلْ للموَتِ والفقراء :

ـــ ثمَّةَ في الحياة إلاَهْ

قُلْ للعقُمْ : تَبقى الشمْسُ خَالِدةً

تَشُقُّ طريقها الأبديَّةَ

فوْقَ سَوَاعد الأحياءِ وَالموْتَى

وتبقى مَوْجَةٌ زرَقاءُ تلطم صخرْةَ الآبادْ

تَبْقَى الرُّوِحُ والكلماتُ والأعْيادْ

تبْقَى هامةٌ في الجيل

ترفَعُ كبرياءَ الجِيل

فوْقَ تهافتُ الأمْثال والاضْدَاد

تَبْقَى أُمَّةٌ عرَبَّيةٌ رفعت مصَاحِفَها . .

على رَاحَاتِها

وِتَدَفَّقَتْ مَوْجاً من الأمْجَاد

تبْقَى رَغْم مَاحَشَد الصَّليبيُّ . .

المعُرَبْدُ تحتَ رايته

وما أسْتقْوىَ به الموتوروُ المأجوُرُ والجلاَّد

تبْقَى الأرْضُ والأوْتادْ

تبْقَى فرْحةُ الميلاد

تبْقَى في نسيجَ عَيُوُنِنَا

وَنُقوش أوجهنَا

وَلوْن دَمِائنَا . . بَغْدَاد

يابغدَاد :

« كان مُحمـَّدُ العربيُّ مَسْجوناً

وَراءَ مدافع الأُسْطول

وَالقدسُ الشريَفُ هناك مَصْلوباً بغَيْر يدَيَنْ

كانَ السَّيْفُ مدفوناً إلى الرئَّتيَنْ

ثم شَهَرْتِ سَيْفَكِ فانحْنى صَنْمٌ

مِنُ الذَّهبَ الرخيص

وَخَرَّ فوقَ الركبتيَن

اللّـهُ يابغدادُ حَيْثُ وَقَفْت

لاصَغرُتْ مقاماتُ الرَّجال

ولا الإرادَةُ بَيْن بَيْن

اللّـهُ أكبرُ بَرْقُهُ ملءَ العيُوُن

وَنَارُةُ في الرَّاحَتَيْن

اللّـهُ ياقدُسّيَّة العتباتِ

يَاإيقاعَ راياتِ الرَّشيد

وَعْطِرِ أنْفَاسِ الحسُيْن !

الرباط 1 ـ 6 ـ 1998

بِقَدْرِ مَا تَسَعُ السَّمَاء

لغُةٌ أُخْرىَ غيْرُ الخزف الشَّرقيّ

السائِل في الكلمات

وَمُوسِيقَى الأشْعار

لغُةٌ غير الماضي الأَنْقَاض

وَغَيْرُ الأقْبيِةِ المتراكمةِ الأحْجَار

لُغَةٌ تَمْحوُ . . تَتَفَاقَمُ . . تُوغِلُ . .

توُرقُ لِيل نَهَارْ

لغُةٌ مُتَنَاهَيةٌ في الله

مبُاغتةٌ . . مُتَفَجرِّةُ الأسْرار

لغُةٌ غَيْرُ القُبَبِ المنقُوشَةِ

والمدن الجوعى . .

المكسَّوة بالدَّم والأَزَهارْ

لغةٌ لاتزحَفُ كالدِّيدانِ

وَلا تتناسَلُ كالغِـْربان . .

على قمَم الأشجارْ

لُغةٌ تتشكَّلُ في شَفَتَيْ بَغْدادَ الآن

وَتُولد في كفيٌّ بَغْداد

وَتكْبُر في عيْنيها الرائعتين . .

الشَّامختَيْنْ

المائجتين بآلافِ الأَقْمار

ـ 2 ـ

في الرمل كان صعود قوس الفجر . .

ـ لا

فِي النَّخْلِ كان هُبُوطُ شَمْسِ الظهر . .

ـــ لا

فِي الريح كانَ الموتُ نَجْمَ المهَرْجَانِ . .

فِي البَدْءِ كان النَّفْطُ قُنْبلةً

على شطِّ الخليج

وَكانَ شَيْخُ النَّفط يغرق

فِي ليَاليهِ الحِسَانْ

فِي الْغيْبِ يابغداد . .

كُنْتِ يَبَارقاً تمْشي على إيقَاعِهَا الدُّنْيَا . .

وَتَرْتِسمُ انْفِعَالاتُ الزَّمَانْ

ـــ 3 ـــ

الميتون . .

الميتون . .

رَقَدوُا عَلَى أَكْفَانِهِمْ زَمَناً

وَحين تجسَّدَ الْوجَعُ العظمُ

تَحوَّلوُ صُوَراً الآلهةِ مخنَّطَةِ العُيُونْ

الميّتوُن . .

الميّتُون . .

وأنا الدَّمُ القلقُ الحروُنْ

وأنا النقوش البَابليَّةُ

ليس تحجبها سَحَابَاتُ القرُوُن

وأنا أنفجاراتُ العَذَاب المحض

في زَمَن الفَجيَعةِ والجَنوُن

وَأنا الإرادة لاتهون . .

ولا تخون . .

ولا تقُولُ كما يقول الآخرون

سُكَّانُ هذَيِ الأرضِ مَوْتى . .

الميِّتوُن هم الذين تفاخَرُوا يوم السقوط

بأنَّهُمْ يتساقطون

الميتون هم الهزيمة تَحْتَ رايات الهَزِيمة

والخيانَةُ مِلَءَ أبْوَاق الخيانَةْ

الميِّتُونَ هَم الطواويسُ المتوَّجَهُ المُهَانَة

الميتُّوُنَ هُمْ الإدَانَةْ !

— 4 —

لبسُوا بَرَاقِعَهُمْ علَى ضَجرٍ

وَبغدادُ التي صبَغَتْ ضفائرها بلونِ النار

تجْتازُ المَخاضَ وَحيدةً

وَكَأنَّما هىَ في صَلاَةْ

بغدادُ ياجبَل البناه

أو لاتزالُ الأرض تحبل بالعبيد

وَ بالطغاه

أو لا يَزَال يجُوسُ عَبْر حُقُول عَيْنيْكِ

النَّبيُّونَ الرُّعَاه

أو لايَزَالُ العادلَونُ هم الخُطَاهْ ! !

قُومي إِذَنْ ، وَتَوشَّحِي

بَردَائِكَ القُدُسِيِّ

وَأُمتثلى إلى قَدَرِ الإلاَه

قوْمي فَقَد عٰادَ الدَّمُ الهمَجِىُّ
يَغْلى فِي شرايين الحياة
عَادَ الذِينَ تفحَّمُوا بالأمس
فوْقَ خيولَهم
يتقلبَّوْنَ على خيُوُلِ النَّار
عَادَ حفيدُ هُولاكو
يُحَاصِرُ نيْنَوىَ بجيُوُشِه
ويَسُدُ أبْوَابَ البَحار
عَادَ القياصرةُ ، الأباطِرةُ الكبارْ
فَتَسَلَّحي بالغيِم . .
وانتظرى تعاقبُ دَورْةَ الأمْواج

بَعْضُ الوشْم يَرْسِم ظلةً فوق الجباه
والبْعضُ مِثلُ النقْش
ينْخر في المعاصم والشِّفَاهْ !

* * *

لِتَكُنْ صخُورٌ مُنْ أَسَي
لتَكُنْ جبَالٌ مِنْ شتَاءْ
وَلْتَسْتَرِحْ كُتَلُ الظلام الرَّطْبِ
فوْقَ مَداَخِل المدُنِ القَديَمةْ
وَلْيغَطِّ الثلْجُ سَاحَاتِ الفَضَاء
وَلتَشْتِعلْ لهَباً عُيُونُ البربرِ المتوحِّشين
شَارَاتُهُمْ وَخيامهُمْ
وَلغُاتهُمْ ، وَعظَامَهُمْ
ياسيدي الوطَنُ الحزين
لكِنَّهُمْ مَثلُ الذئابِ الجائعات أَتوْا

ولن تبْقَى الذئابُ غَداً

وَلنْ يِبْقى العُوَاءُ

فأرْفع جبينك عَالِياً فوْقَ السماء

بقدر ماتسَعُ السماء

بِقَدْرِ ماتسعُ السماء

الرباط 1998 ـ 3 ـ 3

هَـــوَانا

أَلِهَوَى كُلُّ هَوى دُونَ هَوانَا

نَحْنُ مَنْ أَشْعَلتْ الشمْسَ يَدَانَا

والخُطى مهْاتَنَاءَتْ أَوْدَنَتْ

فهَى في دَوْرتها رَجْعُ خُطانَا

وَإذا التاريخُ أَغْنَى أُمَّــةً

بشَهيدٍ فأُلُوفٌ شُهدَانَا

وَإذَا الثَّوْرةُ كانَتْ بَطلاً

يَطأُ الموْتَ وَيحْتَلُّ الزَّمَانَا

فلنَا في كُلِّ جيلٍ بَطَلٌ

مَجْدهُ يحْتضِنُ المجْدَ أحْتضَانَا

عربٌ نحْنُ . . وهَذَا دمُنَا

يَتَحدَّى في فلسطين الهوانَا

عَربٌ رايتُنَا وحَدْتُنَا

حَلَّقَتْ صَقراً وَحَّطتْ في سَمَانا

عَربٌ . . لا أمضُغُ الملح ، ولا

أكْسرُ السَّيْف بَعَيْنَّي مُهُانا

فأنا أعرفُ أنَّ الرُّوح مِنْ

روُحِنا نَحْنُ . . وَأنَّ الكَوْنَ كانا

وَأنا أَعرف أن الشمْسَ في غَيْبةٍ . . ثم تَعوُدُ الدَّوَرَانَا

والمخاضاتُ عذاب . .

وَلقدْ تلِدُ الأرحامُ وَحْلاً وَاحْتِقَانَا

وَأنَا أعْرفُ أني أُمَّةٌ

هيَ عِند الله أعْلَى صَوْلجانا

وأَنا أركضُ فى بَسُتَانها

خيلاءَ . . وَأُغَنّيَ المِهْرجَانا

وَأسْألوُا التاريخ عنها

ينتفِضْ كلُّ عِرقٍ عَرَبِيٍّ عُنفُوانا

* * *

آه ياذاكرة الأرض . .

لكم ثقُلَتْ أقدامُهم فوق ثرانا

وَالدُّجَى كان بطيئًا . .

والأَسَىَ كان مُرًّا رَشَفَتْهُ شَفَتَانَا

يـأتي العـاشقون
إليـك يا بـغـداد

لَمْ يتركُوا لكَ مَا تَقُولُ

وَالشِّعْرُ صَوْتُكَ

حِيْنَ يَغْدُو الصَّمْتُ مائِدةً . .

وَتَنْسَكِبُ المجاعَةُ في العقُولْ

لَمْ يَعْرِفُوكَ ، وأَنْتَ تُوغِلُ عَارِياً في الكَوْن . .

إلاَّ مِنْ بَنَفْسَجَةِ الذُّبُولْ

لَمْ يُبْصِرُوا عَيْنَيْكَ . .

كَيْفَ تُقَلِّبَانِ تُرَابَ أَزْمِنَةِ الخُمُولْ

لَمْ يَسْكُنوا شَفتَيْكَ . .

سَاعَةَ تُطْبِقَانِ عَلى آرْتِجافَاتِ الذُّهُولْ

لَمْ يَشْهَدُوكَ . .

وَأَنْتَ تُولدُ مِثْلَ عُشْب الأَرْضِ

في وَجَعِ الفُصُولْ

لم يتركوا لك ماتقول

لم يتركوا لك ماتقول

* * *

لَمْ يَتركُوا لَكَ مَا تُرِيدْ

خَرَجُوا مِنَ الماضي الذي سكَنُوا خَوَائِطهُ

إلَى المَاضِي الجَدِيدْ

وَتَداخَلَ الغَسقيُّ والخزَفيُّ
وَاتَّسَعَتْ مَسَاحَاتُ الجَليدْ
وَرَأَيْتَ . .
ثُمَّ تَحَجَّرَتْ جَبَلاً على قَوْسِ المَدَى رؤْيَاكَ
كان الرَّاقِصُونَ ، يُعَلِّقُونَ طحالِبَ القِيعَانِ
حَوْل رِقابِهِم
وَيُضَاجِعُونَ هَيَاكلَ الأَمْواتِ في الذكْرَى
وَكَانَ العَصْرُ يرفُلَ في هَزَائِمِهِمْ
وَكُنْتَ هُنَاكَ . .
تَرْتَقِبُ احْمِرَارَ عَجِينَةِ الطُّوفَانِ

لَوْلاَ نَخِيلُ البَصْرةِ الصُّوفِيُّ

عَانَقَ أرْضَهُ . .

وَمَضىَ يُقاتِلُ في الخَليجْ

لولا انتِصَاراتُ الذِين سَقِوْا تُرابَ الفاوْ

لوْلاَ رَايةٌ بِاسْمِ العِرَاق

وَمَجْدِهِ العَرَبِيَّ

خَالِدَةُ النَّسِيجْ

لم يتركوا لَكَ ماتَقُول

* * *

هَذَا المَسَاءُ

هذا المَسَاءُ

الآنَ في هَذَا المَساءْ

الْأَرْضُ مَرْكَبَةٌ تشُقُّ الغَيْبَ

صَوبَ مَجَاهِلِ الغَيْبِ البَعِيدْ

الآنَ في أَقْصىَ جِبال النَّجْمْ

يَطبعُ وَجْهَهُ في النَّجْم

إنسَانٌ جديْد !

الآنَ فِي مِثْلِ انْفجارِ الرَّعْدِ

تهْدِرُ خَارِجَ الإيقَاعِ

مُضْطَرِبَ التشيِيدْ

وَتكادُ تَجْهَلُ مَا تُرِيدْ

وَتكادُ تُنْكِرُ مَا تُرِيدْ

وَتكاد تكْرَهُ مَا تُرِيدْ

مَرَّتْ إذَنْ كُلُّ الجُيوشِ عَلَى جُسُورِكَ

والرِّمَالُ هِيَ الرِّمَالْ

مَرَّتْ مُذَهَّبة الخَنَاجِرِ

وَالأَظَافِرِ

والحَوَافِر

والنِّعَالْ

مَرَّتْ وَأَنْتَ فَرَاشَةٌ عَمْياءُ . .

تَحْتَرِفُ التآكُلَ والزَّوَالْ

يا أيُّها المَصْلُوبُ فَوْقَ مَشَانِقِ المُحْتَلِّ

هَلْ مَازِلْتَ تَرْقُصُ في الجبَالْ ؟

وَهَلْ الظِّلالُ عَلى امْتِدَادَاتِ الطريق . .

هِيَ الظِّلاَلْ ؟

وَهَل الخَيَالُ الأَصْفَرُ الشَّفَقِيَّ

خَاتمة الخيال ؟

وهل الذي تَبْكِيهِ في زَمَنِ البكاءِ . .

هُوَ البكاء ؟

وَهَلْ الغِنَاءُ إذَا تَسَاقَطَتْ الدُّمُوعُ

هُوَ الغناء ؟

وَهَلْ التَّنَاهِي في الظُّهورِ

هْوَ التَّنَاهِي في الخَفَاء

وهل الذين تَسَلَّقُوا سُورَ السَّمَاءِ . .

هُمْ السَّمَاء ؟

وَهَلْ التُّرابُ هُو انْحباسُ الرُّوح . .

في فَلَكِ الزَّمَان

وهَلْ الحَنِينُ ؟ لحيثَما اشْتَعَل الحَنِينُ

هُوَ المكان ؟

وَهَلْ الحقِيقَةُ في حُقُولِ المَوْت . .

أَمْ مَوْت الحُقُولْ

وَهَلْ انقْطِاَعُ الوَصْلِ في لُغَةِ الكمال

هُو الوُصُولْ ؟

لمْ يَترُكُوا لَكَ مَا تَقُولْ

* * *

هَذَا المَسَاءُ

كَأَنَّ ثمَّةَ مَن يُرَقِّعُ غَيْمَةمَثقُوبَةً

هَذَا المَسَاء

كَأَنَّ أجْنِحَةً فِلسْطِينيَّة الألوان

تَزْلقُ في الهوَاء

كأنَّ طِفْلاً حَامِلاً حَجَراً ،

يُراوغُ قَاتِلاً مُتَرَبِّصاً

وَيَغُوصُ في عَيْنَيْه . .

يَحْفُرُ في صُخُورِ الجاهِلِيَّة جَدْولاً للضَّوء . .

ثم يَغِيبُ خَلْفَ ظلامِ مَنْ قَتَلُوا ابْتِسَامَتَهُ . .

وَمَنْ قَتَلُوهُ .

كانَ الطِّفَلُ ذُو الكوفيَّةِ الحَمْرَاء

يَرْكُضُ عَارياً

إلاَّ مِنَ الحَجَر المخضَّب في يَدَيْهْ

أكاد . . إني لا أُصَدِّقُ . .

عَارِياً إلاَّ مِنَ الكُوفيَّةِ الحَمْرَاء . .

والحَجَر المُخْضّب في يَدَيْهْ

وَأَلْفُ نيِشَانٍ من الذَّهَبِ الْـمُرصَّع

فَوقَ صَدْرٍ لمِ يَخُضْ حَرْباً

وَأَلْفُ إذاعةٍ قَصَفَتْ متاريسَ العَدُوّ

وألف أغنيةٍ مُسَلَّحة من الَوزْن الثَّقِيل

وَألْفُ طاغِيةٍ ، يُعَلق سَيْفَهُ قَمَراً

على عَرْشٍ ذلِيل ،

* * *

لِمنْ إذَنْ ؟

تِلْكَ الأسَاطيل التي يَبْنُونَهَا

في البر ، أو في البحر ، أو في الجو

للنَّازيَّة السَّوداءِ

أَمْ للطفل ؟

أم للمشي خلف جَنَازة الوَطَنِ القَتِيل ؟!

* * *

أَقُولُ . . إِنِّي لم أَزلْ

كانَتْ وَرَاء حَدِيقَةِ الزَّيْتُون

رَأْسٌ مِثَل رَأسِ الطِّفْل

مُلقَاةٌ وَرَاءَ حَدِيقَة الزيتونُ

إنِّي لَمْ أزَلْ

كانَتْ يَدُ الحاخَام تَغْرَقُ في دِماء الطِّفْل

كانَ الطِّفْل يَغْرَقُ في دَمِ الحَاخَام

كانَتْ رَعْشَةُ القَدَمَيْن

وَالكفَّينْ . . والشَّفَتَيْن

لا . . إنِّي أكاد أقول : لا

وَأنَا الذي لم يَخْتَبِئْ يَوْماً وَرَاءَ دُمُوعِهِ

إنَّ الأُلى سَرَقُوا طفولة ذلك الآتي

مِنَ المأسَاةِ

قَدْ سَرَقُوا فَمي

لَمْ يَتْرُكُوا لي غَيْرَ قَافِيةٍ عَلى وَتـرٍ خَجُولْ

سَرَقُوا فَمَي

لم يتركوا لى ما أقول

* * *

أَرَأَيتِ يَا بَغْدَادُ

يَأتِي العاشقُون إليْكِ

مُثْقَلةٌ حَقَائِبُهُمْ بِماءَ البحر . .

والصَّدَفِ الشِّتَائِي القديم . .

وَزَنْبَقِ الأَمْطَارِ

يَأتِيَ البَحْرُ ذُو الرَّايَاتِ

فوْقَ خُيولِهِ الزرقاء

مُسْبُوقاً بأَجنِحةٍ مُباغِتةٍ مِنَ الأنْوار

تَأْتِي الشَّمْسُ حَامِلَةً كُؤوسَ رَحِيقها الأزليِّ

لَيْلَ نَهارْ

يَأْتِي الشِّعْرُ والشُّعَرَاءُ

فِي زمَنِ انْشِطَارِ الضَّوءِ ، يأْتِي الشِّعْرُ والشُّعَرَاء

شَاخِصَةً نَواظِرُهم ، إلى بَغْداد

كَعْبَتُنا التي سَجَدَتْ على عَتبَاتِهَا

شمس المجوس

سَلِمْت يا يَاقُوتَةَ المنْصُور

لكن المجُوسَ الآخرِين هُنَاكَ

فِي تَلْمُودِهِمْ يَتَقَلَّبُونْ

يُلوِّنُونَ جُلودهُمْ فَوْقَ الرِّمَال

وَيقْضِمُونَ أَصَابِعَ الأَطفال والموْتَى

وَيَرْتَجِفُون مَقْرُورينَ لاسْمِكِ

هَلْ عَلِمْت ؟

هُناك تحْتَ سُقُوفِهم ، وَبُطون دَبَّابَاتِهِمْ

يَتعبَّدُونَ خرائب الماضي

وَتَرْتَجِفُون مَقْرُورين لاسْمِكِ

أَنْتِ يا بغداد

يابغداد . .

يابغداد . .

* * *

وَأَكَادُ لَوْلاَ وَجْهُ بَغْدَاد العظيم

مُتوَّجاً بالنَّصر

أسْقُطُ في الذُّهُول

وَأَكَاد أُوقِنُ أن شَمْساً فَوْقَ هَذي الأَرْض

أدْرَكها الأُفُولْ

وَأَكَادُ أحْفُر فَوْقَ جُدْران الخرائبِ والطُّلُولْ

لم يتركوا لك ماتقول

لم يتركوا لك ماتقول

الرباط 4 ـ 11 ـ 1990

الرجـــل المتحدِّرُ تحـت الصـنوبر

لمْ يكُنْ وَحْدَهُ آيةَ الله . .

كانَتْ نَوارسُ طهران

تَنْقرُ أقفاصَها الذَّهبِيَّة

والنِّسْوةُ اليابساتُ

اللواتي توسَّدْنَ مُنذْ عُصُورِ النبُوَّةِ

أرْصِفَةَ الفَقْرِ والحزُنْ

يَخْلعْن عَنْ رُوحهِّن ثِيابَ الحِدادْ

وَجَيْشٌ قدِيمٌ مِنَ الغضَب المتجسِّد في الأرْض

يحُرْقُ في ساحِل الليل أكْفانَهُ

وَيُقاتِل قَاتِلهُ . .

وَيزَيِّنَ رَايتَهُ بالسَّوادْ

* * *

وَالخمُيْنيُّ يَكْنِسُ مَمْلكَة الشّاه

عَبْر مَياهِ الخليجْ

ويَفْتَحُ عَيْنَيْن مُصْفرَّتَيْنِ وَمجرُوحَتَيْن

كمثل عُيُونِ الملاَيين

ثَمَّ يُجفِّفُ دَمْعَهُمَا فى سَتَائِر إيرانْ

وَالعَرقُ البشَرىُّ المقدَّسُ

يَرْكُضُ في الأرْضَ مُخْتلِطاً بالأسى وَالنشَّيجْ !

* * *

لمْ يَكُنْ وَحْدَهُ آيةَ الشَّعب

كان يَصوّغُ نَهاراً لأحْلاَمِهِ

وَيُحرِّكَ عَصْراً مِنَ العقْمْ وَاقِفْ

بَيْنها المدُنُ الأثريَّةُ تهْجَعُ

تحْت ركامِ التَّماثِيل

أَيَّتُها المدُنُ الأثرِيّةُ

هاهِيَ ذِي آية الشَعْب مَاثِلةٌ

فَاحلمي بمجيء الحرَائق

أوْفَاَحلمي بجُنُون العواصِفْ

يُولَدُ الزَّمَنُ المتَمَرِّدُ فِي رحم البطل العبْقَري . .

وتُجهَضُ حِينَ المخاضِ ، بُطونَ الزَّوَاحِفْ

* * *

أيتُّها المدُنُ الأثَرِيَّةُ

هَلْ عَلِمَ الرَّجُل المتحدِّر

تحْتَ غُصُونِ الصّنَوْبر

أنَّ الحدِيقَةَ رَاحَلِةٌ فِي الطحالب يوماً

وَهَلْ سمِعَ الرَّجُل المتحدِّرُ

تحْتَ غُصُونِ الصنوبر

صَوْتَ عذاب الملايين

مُحْتَجَّةً في عَوِيلِ الأغانِي

وَحَشْرَجَةَ الضَّحِكاتْ

وَهَلْ كان شَاهُ المدِينَةِ

يَعْلم أنَّ حُلوُقَ العَصَافير

مَسْكُونَةٌ بالرَّمَادْ ؟

وَأَنَّ تُرَابَ البِلاد التي يَبِسَتْ

فِي جَفَافِ اسْمِهِ

كَانَ يحْمِلُ في نَبْضِهِ بِذْرَةَ الاضْطهَادْ !

* * *

وَهَلْ عِلمَ الرَّجُلُ المتحدِّرُ تَحْتَ الصنُّوبَرْ

أنّ كآبةَ هَذَا الزَّمَان

سَتَهْبِطُ عَنْ عَرشِها ذَاتَ يَوْمْ

رؤيـــــا

خَارجاً مِنْ دَمائِك . .

تَبحْثُ عَنْ وطنٍ فيكَ . .

مُسْتَغْرِقٍ في الدُّمُوعْ

وَطَنٍ رُبَّما ضِعْتَ خَوْفاً عليْه

وأمْعَنْتَ في التِّيه . كي لايَضيعْ

أهُوَ تِلْكَ الطّقُوسُ ؟

التي ألبَسَتكَ طحالِبها في عُصُور الصَّقيعْ !

أهُوتِلكْ المدائنْ ؟

تَعشْقُ زَوْارها ، ثم تَصْلِبُهُمْ في خُشُوعْ

أهُو تلك الشمُوسُ ؟

التي هَجعَتْ فِيكَ

حَالمةً بمجيءِ الرَّبيعْ

أَهُو أَنت ؟

وَقَدْ أبصرتْكَ العُيُونُ . .

وَأبْصَرْتَها في ضَبابِ الشُّمُوعْ !

* * *

خَارِجاً مِنْ غَيابك . .

لاقمرٌ في الغياب . .

وَلا مطرٌ في الحضُورْ

مِثْلمَا أنْتَ في حَفْلةِ العُرْسِ والموْتِ

لاشْيءَ إِلاَّ أنْتَظِارٌ مَرير

وَأنْحنَاءٌ حَزِينٌ على حَافَّة الشِّعْر

في ليل هَذَا الشِّتَاءِ الكبيرْ

تَرَقُّبُ الأُفُقَ المتدَاخِل

في أُفُقٍ لمْ يَزَلْ عَابراً في الأَثِيرْ

ربُّما لم تكُنْ . .

رُبَّما كُنْتَ في نحلة الماءِ

أوْ يرَقَاتِ الجُذُورْ

رُبَّمَا كان أجْمَلَ . .

لو أطبقَتْ رَاحَتاكَ على بَاقَةٍ مِنْ زهور !

الرباط 2 ـ 9 ـ 1989

ذات يـــوم ..

كلُّهُــمْ يُشْعِلونَ أصابِعَهُمْ في الفضَاءِ

وَيَسْتَدْفؤُنْ !

كُلُهُمْ يَنْحَتُونَ تَماثِيلَهُمْ فِي الضبابِ

وَلا يَسْأَمُون !

كُلُّهُمْ فلماذا المجاعةُ ، وَالدَّمُ ، والصَّرَخَاتُ

لماذا الحروبُ ؟

لماذا الجنون !

* * *

كلُّهمْ ذَاتَ يومٍ . .

تغيمُ سَماوَاتُهُمْ

ثُم لايُمْطِرُون !

المماليك !

بَيْنَ ما تِنْسِجُهُ عَيْناكَ في الغيب . .

وَبَيْنَ الكلِمـةْ . .

طَائِر فوقُ سَمَاءٍ مِنْ مَناقِيرَ . .

وَشَمْسٌ هَرِمَةْ

أيها المؤغِلُ ؟

مَاذَا بعْد إيغالِكَ

في هذِى العُصُورِ المُظْلِمة .

هُو ذَا زنْبَقُكَ الشَّتْوِيُّ

والعتمةُ فِي المرآة

وَالوَحْشةُ في رِحْلتِك المنْهزِمَهْ

هُوَذَا ظلُّكَ . .

بَرْقٌ هَمَجيٌّ مِنْ أغانيك . .

ولكن المماليك بَقَوْا فوْقَ خيُوُلِ الأنْظمَهْ

لم يَزَلْ حُلُمكَ كثبْاناً مِنَ الرُّمل

وَمازَال الذينَ أغْتَصَبوا الإنسانَ

يغْتَالوُنَ باسم الفرح الآتى دَمَهْ

أيُّها الموُغِل ؟

مَازَالتْ تغَطيِّ سَاحة التاريخ

أقْواسُ العيُوُنِ الشَرِهَاتِ النَّهِمَةْ ! !

الرباط 13 ـ 5 ـ 1990

الفهـــرست

رقم الإيداع : ٧٣٨٢ / ٩٢

I.S.B.N 977 - 09 - 0107 - 5

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤

بيروت: ص ب . ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣